

الفلسفة الاجتماعية عند ابن مسكويه

الباحثة

سندس معين حسن المشهدي

المقدمة:

ازدهرت الفلسفة الاجتماعية في القرن الثامن الهجري في عصر التنوير الذي سبق مباشرة مولد علم الاجتماع فسبقت بذلك علم الاجتماع في الظهور، ومع أن الفلسفة الاجتماعية وعلم الاجتماع يعدان بمثابة نوعين مختلفين من جهد العقل الإنساني المنقب إلا أن الاختلاف بينهما يشبه بصفة عامة ذلك الاختلاف الذي يفصل بين العالم الامبريقي والفلسفة، وهو اختلاف ينصب أساساً على مستويات التجريد والمعالجة المنهجية فكلاهما يحاول أن يصف الواقع ويفسره وكلاهما يعتمد على ملاحظة الواقع والتعمق فيه، حيث أن الفارق بين الفلسفة الاجتماعية وعلم الاجتماع يتجلى على المستوى النظري إلا أن الحدود بينهما مختلطة على مستوى الممارسة والتطبيق، أذن الفلسفة الاجتماعية تعبر عن تطبيق مفهوم الفلسفة في إطار المجتمع وهي تسعى إلى معرفة طبيعة وموضوع وغاية العلاقات الإنسانية، وأولى الكثير من الفلاسفة أهمية كبرى لهذا العلم وصنفوا الكثير من المؤلفات التي تتحدث عن أهمية فلسفة علم الاجتماع ابتداء من الفلاسفة اليونان وحتى ظهور الفلاسفة المسلمين الذين أولوا العناية الكبرى لهذا العلم المهم ومن بين العلماء المسلمين سنتحدث عن عالم جليل ظهر في القرن الرابع الهجري يعتبر مؤسس لعلم الأخلاق وهو ابن مسكويه، يعد مسكويه من الفلاسفة الذين ظهوروا في القرن الرابع الهجري، فهو من أعظم العلماء الذين جمعوا بين المصدر العقلي والنقلي ولم يدون لنا مسكويه تاريخ حياته الخاصة كغيره من الفلاسفة المسلمين لذلك لم نجد من المصادر القديمة والحديثة التي تتحدث عنه إلا القليل منها ولهذا كانت حياته الخاصة غامضة ولقد عرف عن مسكويه بأنه بالإضافة إلى الفلسفة التي ألم بها والعلوم التي أجادها كالكيمياء وغيرها، فهو قد عرف شاعراً ووردت له أشعار كثيرة وبالرغم من كثرة أشعاره ألا أن شعره عرف دون المرتبة المتوسطة فهو لم يأت بكلمات لها قيمة في عالم الشعر الواسع بالرغم أن قد ذكر في النثر بالوضوح

والدقة الكبيرة وظهرت له الكثير من ذلك وفي مواضع متعددة.

كما عرف من خلال مؤلفاته عن عمق تفكيره ورؤيته العظيمة فحين اطلعت على كتابه تجارب الأمم اكتشفت أهمية مثل هذا الكتاب الذي يعرض المواقف التاريخية التي كنا نغفل عنها أو نجهلها بالإضافة إلى الكثير من مؤلفاته التي بينت من خلالها أهمية هذه الشخصية الكبيرة وما افرد خلال سيرته العظيمة، فلقد أعتبر مسكويه هو أول علماء المسلمين الذين كتبوا في علم الأخلاق بمفهومه العلمي والفلسفي، وذلك من خلال كتابه (تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق)، و لمع نجمه في الفلسفة حتى لقبه البعض بـ'المعلم الثالث'، ويعتبر مسكويه أول عالم مسلم بارز درس 'الأخلاق الفلسفية' من وجهة نظر علمية وذلك في كتابه تهذيب الأخلاق والذي ركز فيه على الأخلاق والمعاملات وتنقية شخصية الإنسان.

المبحث الاول

حياة ابن مسكويه وأهم الأحداث التي رافقت عصره

حياته:-

هو أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه فيلسوف أخلاقي ومؤرخ كان من فلاسفة القرن الرابع الهجري^(١)، أطلق عليه أبي علي الخازن وصاحب تجارب الأمم، وهو كتاب مهم للوقوف على تاريخ بن العباس وهو من أعظم العلماء الراسخين الآخذين للعلوم من مصدرها النقلي والعقلي، ولقد كان من أعيان العلماء وأركان الحكماء معاصراً للشيخ أبي علي بن سينا^(٢)، أما عن كنيته فالكنية هي أبو علي والكنية عادة تطلق للتعظيم من شأن الرجل ولعل اختياره هذه الكنية يتفق ما لمسكويه من التشيع لعلي فلقد صرح بتشيعه مرات عديدة وفي مواضع كثيرة من كتبه، منها ما نجده في التهذيب في المقالة الرابعة عندما يتكلم عن الشجاعة فنراه يستشهد بكلام علي وينعته بالإمام ويصلي عليه كما يصلي على النبي^(٣)، أما الأشياء التي تشير إلى تشيعه الفقه وانسجامه مع أمراء الديلم والمديح الذي يخصه به نصير الدين الطوسي وأخيراً بعض المقاطع من كتبه^(٤).

ولم يدون لنا مسكويه تاريخ حياته كغيره من الفلاسفة المسلمين وعلى الرغم من أن المصادر العربية القديمة والحديثة تهمل تاريخ الحياة الفكرية لمسكويه وتعرض فقط الحياة

الخاصة ولهذا كانت حياته لا تزال غامضة مبهمة، فمسكويه ولد من اسرة اجتماعية تتصف بالمجد والجد وأن والده قد توفي قبل والدته^(٥).

ويظهر انه مات في سن مبكرة مما أضطر مسكويه إلى يرعى أمه من بعده^(٦).

أما عن مولد مسكويه فنحن لا نعثر مطلقاً عند الكتاب والمحدثين من العرب ما يعين لنا بالضبط السنة التي ولد فيها وان كان الاختلاف ليس بكثير فالفرق فيه هو عام واحد^(٧).

ولقد اختلف في اسم مسكويه هل لقبه هو أو لقب جده كما يروي لنا، ولقد أورد ابن مسكويه كان مجوسياً واسلم ولو صح هذا فكيف أن نفس نسبه هو أبن محمد فأما ان يكون قد غير نسبه كله وهذا غير محتمل وأما أن يكون أبوه هو الذي كان مجوسياً وأسلم وهذا هو المرجح فالمصادر لا تروي لنا قصة أسلامه^(٨).

ولقد أعتبر ابن مسكويه من فلاسفة القرن الخامس الهجري أي القرن الحادي عشر ميلادي وأن كان يذكر انه ينتمي أيضاً إلى القرن الرابع ويعتمد في تأييد هذا الكلام على تاريخ وفاة مسكويه أي سنة (٤٢١هـ) من جهة وعلى ما يروي من أنه عاش طويلاً من جهة أخرى والأرجح انه ينتمي أصلاً إلى القرن الرابع الهجري وهو ما يعادل القرن العاشر الميلادي أي ان حياته المنتجة غرزت أبان هذه الفترة أما في القرن الخامس الهجري لم تكن حياته لها نفس قوة الإنتاج العلمي.

لقد كان مسكويه من نوابغ المفكرين العاملين الذين يندر ظهورهم في الاسم فلقد كانت له معرفة تامة بعلوم الأقدمين وألف فيها كتباً^(٩).

عاش ابن مسكويه في ظل الدولة البويهية فانتقل إلى بغداد وأتصل بالحسن بن محمد الوزير المهلبى وعمل كاتماً لسر وزير معز الدولة أبن بويه وعند عودته إلى الري أصبح أميناً لخزانة كتب الوزير كما اتصل بعضد الدولة ابن بويه حيث عمل خازناً لكتبه وكان مأموناً لديه واثيراً عنده^(١٠).

أشتغل أبن مسكويه بالكيمياء وجد في طلبها وفتن بكتب الرازي وجابر بن حيان ولقد كان اشتغاله بالكيمياء من أجل الحصول على الذهب فأنفق ماله في هذا السبيل إلى أن أثقل به الحال إلى خدمة بني بويه فأبتسم له الزمان^(١١).

درس الفلسفة اليونانية وتأثر بفلاسفتها من أمثال أرسطو وأفلاطون فإذا ما أضفنا إلى ثقافته اليونانية ثقافته الفارسية والعربية ودراسته للشريعة الإسلامية أدركنا فيه الموروث الثقافي^(١٢) الذي تركه لنا هذا الفيلسوف فلقد وضع لنا مسكويه مذهباً فلسفياً أخلاقياً يجمع بين الجوانب العقلية قدر متابعته لأرسطو وجوانب أخرى بقدر تأثره بأفلاطون وجالينوس بالإضافة إلى ما أخذ من الشريعة الإسلامية وتجاربه الشخصية^(١٣).

ومن أشهر كتبه التي عاجلت موضوع الأخلاق، كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق وكتاب الفوز الأصغر، وكتاب الفوز الأكبر، كتاب الحكمة الخالد، وأوضح مسكويه في مجمل ما كتب إلى طريق الوصول إلى السلوك المستقيم بعد دراسة علمية تجعل الالتزام بهذا السلوك سهلاً وميسوراً لا كلفة فيه ولا مشقة ولعل ذلك هو ما دفعه إلى جمع الحكمة الخالدة ليسترشد بها ويرشد بها غيره فبهذه الدوافع هي التي دفعت مسكويه إلى الاهتمام بعلم الأخلاق الذي أنشأه على منهج يبدأ بدراسة النفس الإنسانية ذلك إن الخلق عن النفس^(١٤).

وكان مسكويه لا يؤمن بما تؤمن به عامة المتعلمين ولهذا لا يذكر أنه كان له أستاذ معين فلقد أورد أبو حيان في كتابه بأنه كان رجل فقير بين أغنياء^(١٥).

عصره:-

عاش مسكويه في حياته أبرز العلماء وانبع الكتاب والأدباء وأرفع الفلاسفة والشعراء وكان رفيق الأمراء والملوك وقضي شبابه مع عضد الدولة وعرف في رجولته ابن صمصام الدولة وفي شيخوخته كان إلى جانب بهاء الدولة عاش في فضل بني بويه ومات في فضلهم وكان لهم في حياته المدينة صديقاً ووفياً وخازناً أميناً وكاتباً رفيع الخيال ومفكراً يعطيهم عقله وفكره أكثر مما يعطونه من أيديهم وجيوبهم^(١٦).

ولقد وصف مسكويه العصر الذي عاش فيه بأنه عاش فيه عهد مشايخ الملوك في ذلك العصر الزاهر الذي عاش مسكويه كانت أسواق الشعر والنثر رائجة آنذاك وأشهر الشعراء الذين ظهروا في ذلك العصر أبي تمام والبحري والرومي والمتنبي والشريف الرضي^(١٧).

ولقد عرف ابن مسكويه شاعراً فمدح ابن العميد واعتبرت إشعاره في قالب الشعراء

العاديين حيث لم يأتي بمعاني ظريفة ولا صور بارزة وهو أذن يأتي في الشعر دون المرتبة المتوسطة بكثير أما نثره فيتسم بالوضوح والدقة في الألفاظ ولكن دون أن يبلغ مرتبة الكبار مثل الجاحظ وغيره^(١٨).

ومن بعض إشعاره التي ذكرت والتي ورد فيها استعمال لكلمة المسك فهو يشبه الناس وفضلائهم بالمسك في قوله:

والناس في العين أشباه وبينهم ما بين عامر بين الله والحرب
في العود ما يقرن المسك الذكي به طيباً وفيه لمقى جمع الحطب

كذلك ارتقت في عصره العلوم الدينية، كعلم القراءة والتفسير والحديث والرجال، وأقبل الكبراء من الأمراء على تشجيع العلوم العقلية وأكرام أهلها كما فعل عضد الدولة البويهى حينما أفرد الحكماء موضعاً يقرب من مجلسه ومن أشهر فلاسفة عصره (الكندي، أخوان الصفا، الرازي، ابن سينا)، فراجت سوق الفلسفة والإلهيات والمنطق والتاريخ والجغرافية والعلوم الرياضية والطبية^(١٩).

وبالرغم من الإعلام الذين عاصروهم مسكويه إلا أنه كان مفكراً عبقرياً من الذين كافحوا ودافعوا وعن الإسلام وسعوا إلى نشره وتثيبت أوتاده على أرض قيمة فيشهد بذلك قلمه وحياته ونوايغ الإعلام فمن عاصره أو جاء بعده حتى اليوم وحتى الغد البعيد^(٢٠).

الأوضاع السياسية في عصره:

فأما الأوضاع السياسية في عصره فان الضعف وعدم الهيبة هما صفة رأس الحكم العباسي في بغداد فظهر التفكك والانحلال وانقسمت الدولة الإسلامية إلى ممالك صغيرة نشأت فيها العصبية والقوميات المحلية وقد بلغ الضعف في ظل الدولة العباسية ذروته في القرن الرابع الهجري عندما سيطر بني بويه الشيعة أمارات ودول أخرى أكثر تشيعاً وأشد قوة منها أمارات الحمدانيين في الموصل وبلاد الشام والدولة الفاطمية في المغرب وسيطرة القرامطة على أغلب الجزيرة العربية^(٢١).

ورأى مسكويه بأم عينه الفساد والاضطراب في الإدارة مناصب الحكم وشهد عن كتب فساد الحياة الاجتماعية وأمعن النظر في الإحداث الدائرة حوله وأستخلص منها العبر

واكشف مصادر الخطأ والخلل ولقد كانت الصراعات دائرة بين الفئات المختلفة فوجد ثورة مسلحة هناك وتمرد هنا وصراعات متبادلة بين وزير يستدعي للوزارة وآخر مخلوع منها أو مقتول أو مصادر فتنة تحكم أقاليم القوة وتراسل الخليفة متفقة معه على مبلغ من المال تؤديه إليه فيخلع ذلك الخليفة زعيمها لأنه صاحب قوة ظاهرة وزحف عسكري شديد الوطأة فيكتسب بها الشريعة التي تؤهله لممارسة السلطة وفتنة أخرى تنفرد بالسلطة وتدعو لنفسها ولهم هذه الفئات إلا سلطة والمال^(٢٢).

ولقد أدى الضعف والانقسام في كيان الدولة حتى صارت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية عرضة للنهب في فترات عدة^(٢٣).

أوصافه وألقابه.

وصف مسكويه ممن ترجم له من القدماء والمتأخرين بقولهم الحكيم المتكلم الفيلسوف الأخلاقي المؤرخ الرياضي المهندس اللغوي الأديب الشاعر الكاتب الذكي النافذ الفهم الكثير الاطلاع على كتب الأقدمين ولغاتهم^(٢٤).

كما كان من ألقابه علاوة على لقب مسكويه الخازن النديم كما لقب بالمعلم الثالث ويقال أن مسكويه لقب بالمعلم الثالث لدوره الفذ الذي لعبه في إعادة بناء الفلسفة اليونانية في فرعها العملي أي في فلسفة الأخلاق وجمع أشاتها وتمحيصها وترصين أركانها بصورة لم يزد عليها أي مصنف في فلسفة الأخلاق حتى زماننا هذا أضف إلى ذلك أن ابرز كتاب في الأخلاق ظهر في اللغة الفارسية وهو كتاب أخلاق ناصري الذي ليس إلا ترجمة لكتاب مسكويه تهذيب الأخلاق نقله إلى الفارسية نصير الدين الطوسي وكان معجباً بمسكويه أعجاباً كثيراً وان هذه الألقاب والنعوت التي لقب بها مسكويه لهي دليل على تعدد عناصر شخصيته وسعة أفاقه في العلم والحكمة^(٢٥).

مؤلفات مسكويه.

- ١- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق طبع في الشرق وخاصة في مصر.
- ٢- الفوز الأصغر وهو كتاب يعرض الإلهيات تارة والطبيعة والنفس تارة أخرى وفيه إشارات إلى مسألة السعادة.



- ٣- كتاب السعادة ويسمى أحياناً ترتيب السعادات.
- ٤- تجارب الأمم وهو كتاب طبع عدة مرات وترجم إلى اللغات الأجنبية وخاصة في اللاتينية والانجليزية وهو كتاب تاريخي يتحدث عن تاريخ الأمم.
- ٥- جاويزان خرد وهو كتاب جمع فيه مسكويه حكم الأمم الأربعة الفرس، الهند، العرب، الروم، ليعين إن العقل الإنساني واحد في كل زمان وفي كل مكان.
- ٦- الغرقابس وهو رسالة جمعها مسكويه مع رسائل أخرى لم يتم ترجمتها من قبله كما يعتقد البعض.
- ٧- رسالة يرد بها على بديع الزمان الهمداني وكان قد أرسل يعتذر إليه قد لنا على ما كان عليه مسكويه من حسن الأسلوب وقدرة الإنشاء^(٢٦).
- ٨- وصيته وهي دستوره الأخلاقي الذي يلخص مختلف نظرياته التي نجدها في كتبه الأخلاقية.
- ٩- أشعاره ونجدها مطبوعة في تتمه يتيمة الدهر للثعالبي، وهي أشعار في المدح تارة وخاصة في مدح ابن العميد وعميد الملك وفي مهاجمة الصاحب بن العباد وأشعار أخرى في تأمله لطول حياته ونعمته على الحياة في أواخر أيامه ولقد كان يقول في نفسه:
أن القوا في كفتني نظم نفسها فهن ينظمن حي في كل منتظم
تدنو شواردها حتى يغص لها ذهني فانقضها منه على قلبي^(٢٧)
- ١٠- رسالة في جواب في سؤال لعلي بن مسكويه إلى أبي حيان التوحيدي في حقيقة العدل.
- ١١- كتاب طهارة النفس وهو مخطوط ضخمة مصور يقع في (١٥٣) صفحة من القطع المتوسط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤١٧).
- ١٢- مجموعة رسائل تحتوي على حكم فلاسفة الشرق واليونان.
- ١٣- مخطوط في مكتبة الاسكربال بأسبانيا يتسب لمسكويه يحتوي على الوصايا الذهبية لفيثاغورس وأيضاً لغرقابس.

١٤- ونجد فصلاً آخر من كلام مسكويه في مخطوط أبي سليمان المنطقي عقب الوصية المتقدمة لابن مسكويه يتحدث فيها عن معنى الدعاء^(٢٨).

أما المخطوط من مؤلفات مسكويه.

- ١- رسالة في اللذات والآلام وهي تقع في ست صفحات من القطع المتوسط.
 - ٢- رسالة في الطبيعة وهي رسالة قصيرة ويتكلم فيها عن الجواهر الطبيعية فيقسمها إلى بسيطة وحركية.
 - ٣- رسالة في جواهر النفس والبحث عنها وهي رسالة قصيرة تقع في صفحتين وفيها يعرض لأهمية النفس في سائر الكائنات المختلفة.
 - ٤- من كتاب العقل والمعقول وهي رسالة ضمن مجموعة راغب باشا ستانبول.
 - ٥- مقالة في النفس والعقل.
 - ٦- في أثبات الصور الروحانية التي لا هيولى لها.
 - ٧- تعريف لمسكويه يميز به بين الدهر والزمان^(٢٩).
- ### وصيته وأقوال العلماء فيه.

يقول مسكويه في وصيته: بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد وهو يومئذ آمن في سرية معافى في جسمه عنده قوت يومه لا تدعوه إلى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ولا يريد بها مراعاة مخلوق ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة منهم، عاهده على أن يجاهد نفسه ويتفقد امره ويشجع ويحكم وعلامة عفته أن يقتصد في مأرب بدنه حتى لا يحمل الشرة على ما يضر حق أو يهتك مروءته وعلامة شجاعته أن يحارب دواعي نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب في غير موضعه وعلامة حكمته أن يستبصر في اعتقاداته حتى لا يقوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ليصلح بها أولاً نفسه ويهذبها ويحصل له من المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة وعلى ان يتمسك بهذه التذكرة ويجتهد في القيام بها والعل بموجبها وهي خمسة عشر باباً، أيثار الحق على الباطل في الاعتقادات^(٣٠)، والصدق على الكذب في

الأقوال والخير على الشر في الأفعال وكثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائم بين المرء وبين نفسه والتمسك بالشرعية ولزوم وظائفها وحفظ المواعيد حتى ينجزها وأول ذلك ما بيني وبين الله عز وجل، فله الثقة بالناس وبترك الاسترسال بحبة الجميل لأنه جميل لا غير ذلك الصمت في أوقات حركة النفس للكلام حتى يستثار فيه العقل، حفظ الحال التي تحصل في شيء حتى يصير ملكه ولا يفيد بالاسترسال والاقدام على كل ما كان صواباً الاشفاق على الزمان الذي هو العمر فيستعمل في المهم دون غيره، ترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي وترك الثواني وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحد لئلا يشتغل بمقابلةتهم وترك الانفعال لهم حسن احتمال الغنى والفقر والكرامة والهوان بجهة وجهة ذكر المرض وقت الصحة والهم وقت السرور والرضى عند الغضب ليقبل البغي والطغي قوة الأمل وحسن الرجاء والثقة بالله عز وجل وصرف جميع البال إليه^(٣١).

وفاته:

توقف القلب الكبير وفاضت هذه النفس المطمئنة في التاسع من صفر سنة (٤٢١هـ) في مدينة أصفهان وإذا كان هذا التاريخ صحيحاً فإن ذلك يعني أنه قد عاش قرابة القرن وإذا ما اتفقنا على ان هذا الحضور الفاعل قد ابتداءً (٣٤٠هـ) فأنا نرى أنه كان المشاهد والمتطلع على جيلين فلسفيين^(٣٢):

الأول: الجيل الذي انتهى مع يحيى بن عدي (تلميذ الفارابي) وكان رئيساً للفلاسفة آنذاك توفي (٣٦٤هـ).

الثاني: الجيل الذي ابتداءً مع الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا المولود (٣٧٠هـ)^(٣٣).

المبحث الثاني

الأخلاق في فلسفة مسكويه

وضع مسكويه مذهباً فلسفياً في الأخلاق يجمع بين الجوانب العقلية بقدر متابعتها لأرسطو وجوانب أخرى بقدر تأثره بأفلاطون وجالنيوس بالإضافة إلى ما أخذه من الشريعة وتجاربه الشخصية^(٣٤)، فلقد اعتبر مسكويه ممثلاً لفلاسفة الأخلاق التقليديين في المحيط الإسلامي^(٣٥)، ومن أشهر كتبه التي عاجلت موضوع الأخلاق كتاب تهذيب الأخلاق

وتطهير الأعراق، وكتاب الفوز الأصغر وكتاب الفوز الأكبر، والحكمة الخالدة، ولقد أوضح في مجمل ما كتب أنه يهدف إلى إيضاح الطريق إلى السلوك المستقيم بعد دراسة علمية تجعل الالتزام بهذا السلوك سهلاً ميسوراً لا كلفة فيه ولا مشقة فيقول موضحاً أن غرضنا من ذلك إن نحصل لأنفسنا خلقاً تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة وكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي ولعل ذلك ما دفعه إلى جمع الحكم الخالدة ليسترشد بها ويسترشد بها غيره^(٣٦)، كل تلك الدوافع دفعت مسكويه إلى الاهتمام بعلم الأخلاق الذي أنشأ على منهج يبدأ بدراسة النفس الإنسانية ذلك أن الخلق صادر عن النفس حيث يؤكد على أن الطريق إلى الخلق الحسن والفعل الجميل معرفة النفس فيقول: والطريق في ذلك أن نعرف أولاً نفوسنا ما هي؟ وأي شيء هي؟ ولا شيء وجدت فينا؟ أغنى كمالها وغاياتها، وما قواها وملكاتنا التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية وما الأشياء العائقة عنها، وما الذي يزيكها فتفلق؟ وما الذي يدسيها فتخب^(٣٧).

ولقد اعتبرت مادة علم الأخلاق عند مسكويه مبحثاً من أهم المباحث التي تستحق العناية والاهتمام لأن الأخلاق تحدد المعايير للسلوك الإنساني السليم ومنهاج الأخلاق التي تقود إلى المثل العليا بناء على هذا المفهوم تكون الأخلاق من الصناعات التي يجب أن تعطى العناية الكافية وخاصة وإنها تهتم بال مخلوق المكرم من الله سبحانه وتعالى^(٣٨).

ولقد كان بعض فلاسفة الأخلاق بالضبط كانوا يحكمون على الوقائع الأخلاقية بإيجاز انطلاقاً من انتقاء عشوائي أو مجمل عرضي انطلاقاً مثلاً من أخلاق محيطهم ومن مناخ منطقتهم أو من طبقتهم الاجتماعية أو من كنيثهم ولا نهم كانوا سيئي الاطلاع بل قليلي الفضول فيما يتعلق بأمم أخرى وبأزمة أخرى وبصور سالفة لم يدركوا حتى مشاكل أخلاقية التي تقتضي دوماً أجراء مقارنة بين أنواع الأخلاق المختلفة، وأن أكثر ما كانت تفترق إليه كل علوم الأخلاق وأن بدا الأمر غريباً هو مشكلة الأخلاق نفسها بحيث لم تكن هناك أبداً أدنى رية في أمكانية انطوائها على مشكلة ما^(٣٩).

إن ما كان الفلاسفة يصطلحون عليه بتأسيس الأخلاق وما كانوا يلزمون أنفسهم به تحت هذا الاسم لم يكن بالنظر إليه جيداً سوى شكل من أشكال الإيمان الساذج

بالأخلاق السائدة أي هو شكل جديد من أشكال التعبير فهو حالة من صميم الأخلاق المتعارفة أو هي في آخر المطاف أو التحليل طريقة تنكر أن تكون هذه الأخلاق قد تم تناولها كمشكلة^(٤٠).

تعريف الأخلاق لغةً واصطلاحاً.

الأخلاق لغةً:

الأخلاق: جمع خلق بضم الخاء وبضم اللام وسكونها، والخلق في اللغة يطلق على معان، قال تاج العروس (والخلق) بالضم وبضمّتين السجّية، وهو ما خلق عليه الطبع، وقال ابن الأعرابي الخلق: المروءة والخلق والدين والجمع أخلاق^(٤١).

أما الأخلاق اصطلاحاً كما أوردها ابن مسكويه في تهذيب الأخلاق: (الخلق حال في النفس داعية إلى أفعالها من غير فكر ولا روية)^(٤٢)، وهذه الحال منها ما يكون طبيعياً الذي تسوقه فطرته ومزاجه للبذل والإمساك أو الشجاعة ومنها ما يرجع للعادة والمران كالذي يتعود الصدق في القول والشجاعة في العمل ويستمر على ما تعود حتى يصير له خلقاً راسخاً، ومهما يكن فالإنسان يولد على فطرة أبويه ولكن قابل للتخلق بأخلاق مجتمعه وبالإمكان تغييرها أما بالسرعة أو البطء يشهد بذلك الواقع وملاحظة انتقال الصبي من حال إلى حال تبعاً للبيئة التي تحوطه ولنوع التربية التي تلقاها من ولي أمره أو مسؤوله المباشر^(٤٣).

وهذه الحال التي يعرف بها الخلق تنقسم إلى قسمين:

منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج ، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب كالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله.^(٤٤)

صناعة الأخلاق أفضل الصناعات.

فأما هذه الصناعة فهي أفضل الصناعات كلها أعنى صناعة الأخلاق التي تعني بتجويد أفعال الإنسان بما هو إنسان فتين لنا بأنه لما كان الجوهر الإنساني فعل خاص لا يشاركه فيه شيء من موجودات العالم ثم لم تصدر عنه أفعاله بحسب جوهره وشبهناه بالفرس الذي إذا

لم تصدر عنه أفعال الفرس على التمام أستعمل مكان الحمار بالاً كان وكان وجوده أروح من عدمه ووجب أن تكون الصناعة التي تعني بتجويد أفعال الإنسان حتى تصدر عنه أفعاله كلها تامة كاملة بحسب جوهره ورفعته عن مرتبة الأخس الذي يستحق بها المقت من الله والفرار من العذاب الأليم شرف الصناعات كلها أو أكرمها وأما سائر الصناعات الأخر فمراتبها من الشرب بحسب مراتب جوهر الشئ الذي تستصلحه^(٤٥).

وهذا ظاهر جداً من تصفح الصناعات لأن فيها الدباغة التي تعني باستصلاح جلود البهائم الميتة وفيها صناعة الطب والعلاج التي تعني باستصلاح الجواهر الشريفة الكريمة وهكذا الهمم المتفاوتة التي ينصرف بعضها إلى العلوم الدنيئة وبعضها إلى العلوم الشريفة في الجماد والنبات والحيوان أما في الحيوان فكجواهر الديدان والحشرات إذا قيس إلى جوهر الإنسان وأما في جوهر الموجودات الأخر فظاهر له أنه أراد أن يحصيها، فالصناعة والهمة التي تصرف شرفها وأشرف من الصناعة الهمة التي تصرف في الادون منها^(٤٦).

ويجب أن يعلم أن اسم الإنسان وأن كان يقع على أفضلهم وعلى رؤوسهم فأن بين هذين الطرفين أكثر مما بين متضادين من البعد وإن رسول الله ﷺ قال: ((ليس شيء خير من إلف مثله إلا الإنسان، وقال عليه السلام: الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة واحدة)) وركز الرسول الكريم جهوده على بناء الذات الجديدة للإنسان والمجتمع اللذان يمثلان ترجمة حية لتلك المقاييس التي أتى بها الإسلام^(٤٧).

الخلق عند مسكويه طبيعي أو غير طبيعي.

يعرض مسكويه وجهات نظر مختلفة حول الخلق من حيث كونه طبعياً أو غير طبيعي ويبتني الرأي القائل بإمكان تبدل الخلق وانتقاله وذلك كما يشهد الحس والعقل وظواهر الحياة وما وضع من سياسات ونظم تربوية ويحكي مسكويه عن جالنيوس رفضه لمزاعم من يرى خيرية الطبيعة الإنسانية خيره مطلقة ثم إمكان صيرورتها شريرة بالمخالطة ورفضه لرأي من قال أن الناس أشرار بالطبع وإنما يصيرون اختياراً بالتأديب والتعليم والمصالحة وحيث رفض جالنيوس هذين الرأيين فيما يحكي مسكويه فإنه أعلى أن من الناس من هو خير الطبع ومنهم من هو شرير بالطبع ومنهم من هو متوسط بين الخيرية والشرية، وزعم جالنيوس أن هذه من الأمور الواضحة لأن من الناس فعلاً من هو خير بالطبع وهم قليلون

وهؤلاء لا ينتقلون إلى الشر مهما كانت الظروف، ومنهم من هو متوسط بين هذين وهؤلاء يتم تحويلهم إلى أي من الجهتين تبعاً لصفات من يخالطون^(٤٨).

فإذا كانوا أختياراً فإنهم سيحولون إلى الخير وإذا كانوا أشراراً فسيحولون إلى الشر^(٤٩)، وإما التنميط الاجتماعي من وجهة نظر مسكويه فهما أدوات تصير الإنسان كائناً اجتماعياً وذلك يتم بالتربية لذا أكد مسكويه على اهتمامه في لبسه ومطعمه وإعداداته والأشراف عليه وكيفية التعامل معه مقروناً ذلك بالهدف الأخلاقي^(٥٠)، فالفرد والمجتمع بينهما بنية وعلاقة والطبيعة البشرية ليست بالولادة وإنما بالخبرة والثقافة لكن الولادة مسؤولة عن الطبيعة السلوكية^(٥١) ومن الناس على استعداد لتقبل الخير فينقلون إليه إذا تعهدوا بالتربية والتهذيب، إما إذا خالطوا أشرار فاسدين فإلى الشر مصيرهم وإلى الغواية طريقهم^(٥٢).

الأخلاق منظوراً إليها نظرة اجتماعية.

ينقد مسكويه الزهاد والذين يؤثرون في الحياة في عزلة بعيداً عن غيرهم من الناس وهذا إن دل على شيء فإنما يدلنا على نزعه مسكويه الاجتماعية فهو يرى أن الزاهد يعد جائراً على غيره لأنه يعتمد على الناس حتى في حاجاته الضرورية ويطلب منهم أن يعاونوه في الوقت الذي لا يقدم فيه معونة لهم وهذا يعد جوراً وعدواناً^(٥٣)، فالإنسان مدني بالطبع ولما كان ذلك فإنه محتاج بطبعه إلى الصديق عند حسن الحال يحتاج إلى المؤانسة وإلى من يحسن إليه فالملك العظيم يحتاج إلى من يصطنعه ويضيع أحسانه عنده كما أن الفقير من الناس يحتاج إلى الصديق يصطنعه ويضع احسانه عنده المعروف^(٥٤)، ومن كان تمامه عند غير فمن المحال أن يصل مع الوحدة والتفرد إلى سعادته التامة فالسعيد إذا من اكتسب الأصدقاء وأجتهد في بذل الخيرات لهم وليكتسب بهم ما لا يقدر أن يكتسب بذاته فيلتذ بهم أيام حياته ويلتذون أيضاً به^(٥٥).

ويضرب لنا مسكويه بعض الأمثلة في مجال الشرع حتى يؤيد دعوته إلى الاجتماع [لا] التفرد بمعنى ان الشعائر الدينية تدعو إلى تقوية النزعة الاجتماعية فصلاة الجماعة أفضل من صلاة التفرد وكذلك صلاة الجمعة وعيد الفطر وعيد الأضحى بل من أركان الإسلام أن يجتمع المسلمون في جميع أرجاء الأرض في البلاد المقدسة وهذا يدعو مسكويه إلى أخلاق تقوم على الاجتماع لا التوحد بحيث تكون أول الواجبات محبة الإنسان لكل

الناس^(٥٦) والناس المرغوبون عند مسكويه أخلاقياً هم الذين تقوم بينهم المحبات المبنية على المنافع الجميلة فالأب يكرم أبوياً والسلطان يكرم كرامه سلطانية حتى يكرم الناس بعضهم كرامه أخويه كل هذا لا يتم إلا بإقامة العدالة فإذا غابت العدالة انقلبت الرئاسات التي تغلب وانتقلت محبة الرعية إلى البغض للحكم السياسي^(٥٧).

شروط اتخاذ الصديق:

بعد الحديث عن الاجتماع المدني وعن الدعوة إلى الاجتماع لا التفرد يدعو ابن مسكويه إلى اتخاذ الأصدقاء، ولكن من أراد ان يتخذ صديقاً يجب ان تتوفر فيه شروط الصداقة ولذلك يجب على الإنسان الذي يحصل له الصديق أن تكثر مراعاته وان يبال في تفقد صديقه ولا يستهين باليسير من حقه عند مهم يعرض له أو حادث يحدث معه فإما في اوقات الرخاء فينبغي أن تلقاه بالوجه الطلق والخلق الرحب وان تظهر له في عينك وحركاتك وفي هشاشتك وأرتياحك عند مشاهدته لك ما يزداد في كل يوم وفي كل حال ثقة بمودتك وسكوناً إلى غيبك ويرى السرور في جميع اعضائك التي تظهر السرور فيها إذا لقيك فإن الحفي الشديد عند طلعة الصديق لا يخفي وسرور الشكل بالشكل أم بغير الشكل^(٥٨).

فالسعيد في نظر مسكويه من اكتسب الأصدقاء وأجتهد في بذل الخيرات لهم ليكتسب بهم ما لا يقدر أن يكتسبه لذاته فيلتذ بهم أيام حياته ويلتذون به أيضاً وان حال هذه اللذة باقية لأنها لذة إلهية غير منحلة ولا متغيره وهؤلاء في جملة الناس قليلون جداً وإما أصحاب اللذات البهيمية والنافع فيه فكثيرون جداً وقد يكتفي من وهؤلاء بالقليل كالأبازير في الطعام وكالمالح خاصة^(٥٩)، وأما الصديق الأول الذي ذكر وصفه لا يمكن ان يكون كثيراً لعزته ولأنه محبوب بإفراط وإفراط المحبة لا يصح ولا يتم الا الواحد، وإما حسن المعاشرة وكرم اللقاء والسعي لكل أحد بسيرة الصديق الحقيقي فمبذول لأجل طلب الفضيلة فالرجل الفاضل يسلك في عشرة معارفه مسلك الصديق وأن لم تتم الصداقة الحقيقة فيهم^(٦٠).

رأي بعض الفلاسفة في الصداقة.

يقول أرسطو طاليس في الصداقة ((أن الأنسان محتاج إلى صديق عند حسن الحال وعند سوء الحال، فعند سوء الحال يحتاج إلى معونة الأصدقاء وعند حسن الحال يحتاج إلى المؤانسة وإلى من يحسن إليه ولعمري أن الملك العظيم يحتاج إلى من يصطنعه ويضع إحسانه

عنده كما أن الفقير من الناس يحتاج إلى صديق يصطنعه ويضع أحسانه عنده المعروف))، وقال: ((ومن أجل فضيلة الصداقة يشارك الناس بعضهم بعضاً ويتعاشرون عشرة جميلة ويجتمعون في الرياضيات والصيد والدعوات)) (٦١).

وإما سقراطيس فإنه قال بهذه الألفاظ ((إني لأكثر التعجب ممن يعلم أولاده أخبار الملوك ووقائع بعضهم ببعض وذكر الحروب والضغائن ومن انتقم أو وثب على صاحبه ولا يخطر ببالهم أمر المودة وأحاديث الألفة وما يحصل من الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والأنس وأنه لا يستطيع أحد من الناس أن يعيش بغير المودة وإن مالت إليه الدنيا بجميع رغائبها فإن ظن أحد أن أمر المودة صغير فالصغير من ظن ذلك وأن قدر أنه موجود ييسر الخطب يدرك بالهون فما أصعبه وما أعسر وجود صداقة يوثق بها عند البلوى)) (٦٢).

الأخلاق في المحيط الإسلامي.

لقد كان للعرب مثلهم وتقاليدهم وأنماطهم السلوكية المعينة وقيمهم الخلقية الخاصة ولقد أبقى الإسلام بعضها وأقرهم عليها بعد أن تم محاسنها وصحح وجهتها، كما أبطل الإسلام بعضها الآخر هو ذلك القدر الذي كانت تحركه ضيق النعمة أو الجهل (٦٣)، ولقد تجلت خلاصة المكارم العربية في محمد ﷺ الذي ترأت صفاته وتنزهت أخلاقه عن شوب الجاهلية وانحرافاتهما فكانت شبابه مقدمة طبيعية لاصطفائه ولقد علم بحاله أكثر مما علم بمقاله ولا غرو أن يقول صلوات الله وسلامه عليه ((أنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) أي يضع اللبنة الناقصة في هذا البناء الأخلاقي الضخم (٦٤)، فتحصل أن الهدف الأساس من البعثة النبوية هو التحلي بمكارم الأخلاق وهذا معناه أن الشريعة الخاتمة التي جاء بها سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، ذات أسس أخلاقية عليها تقوم وبها تنفذ في كل جوانبها الإيمانية والتعبدية والتعاملية فلا يزكو إيمان ولا عبادة ولا عمل ما لم يكن مصبوغاً بالصبغة الأخلاقية الفاضلة إذ ليس من خلق كريم ولا فعل جميل إلا وقد وصله الله بالدين (٦٥).

وبذلك تستنتج أن من أهم المميزات التي استمدت بها التعاليم الأخلاقية الحمديدية هذا التحرير التام للإنسان وتخليصه من العبودية أي كان مصدرها المال والجاه والقبيلة والأهل والولد، وبل سيشمل أيضاً عبودية الهوى ((أي هوى النفس ذاتها)) وبذلك سلم الإنسان من أن يكونه نهبه لشركاء متشاكسين كما يعبر القرآن الذي يبرز في وضوح حقيقة المؤمن

الموحد المتماسك المتزن مقارنةً أيها بحقيقة الإنسان آخر توزعته أهواؤه ونزواته^(٦٦).

ولقد كان الرسول الكريم تجسيدا حياً لأخلاق القرآن ولقد صدقت عائشة حين سئلت عن خلق الرسول إذ قالت كان خلقه القرآن ومعنى ذلك أن صفات الكمال التي رسمها القرآن والتي أنبأنا الله بها أنها موضع حبه وتقديره وقد تجلت من محمد أقدس ما تكون وأسمى ما يؤمل لها في إنسان وهو باختصار على خلق عظيم، ولما كانت هذه الصفات موضع حب الله كان التخلق بها مؤهلاً طبيعياً لنيل رضا الله سبحانه وهو أقصى ما يراد من السعادة^(٦٧).

وأن من يتصفح القرآن الكريم ليؤخذ بتلك الروعية القدسية التي تشع من الصفات الإلهية كما يحكيها القرآن ولا يقتصر المثل الأخلاقي على المستوى البشري بل ينشر سموه في السماء بحيث تربط الفضائل ربطاً وثيقاً بالصفات أو بالأخلاق الإلهية وهذا في حد ذاته تحول ذو بال في المقاييس الأخلاقية ولقد بذل المسلمون جهوداً صادقة في سبيل تمثل المكارم وأمامهم في ذلك الرائد الأول والقدوة الأمثل ﷺ الذي جمع أعطافه بين جلال القرب وبين جمال خفض الجناح وأنا أبين امرأة كانت تحمل القديد وكان هذان الطرفان المتباعدان يتجاذبان ليؤدبانه ما أريد له من بسط الدعوة وإعلاء كلم الحق وسيادة قانون السماء^(٦٨).

ولقد رسم القرآن الكريم الطريق العملي لتربية الإنسان الفاضل مخاطبة الفرد والمجتمع فإذا كان المجتمع هو الأساس الأول الذي يقوم عليه بناء الدولة فإن العناية بالفرد هو لبنة في بناء المجتمع ويصبح ضرورياً وأساسياً إذا أردنا لهذا البناء القوة والمتعة ويختلف الناس في سلوكهم بين التخبط في الحضيض أو المتهادي في القمة أو السائر وسطاً وإذا أردنا الارتفاع بالمستوى الأدنى والأوسط إلى القمة فعلينا البدء بالأخلاق لأنها أول الخيط الذي يصل بنا إلى غاية وقد وضع فلسفة إصلاح المجتمع وتقويمه على قاعدتين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٦٩).

ولعل السر في عناية القرآن الكريم بهذا الأصل هو ما ذكره في قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٧٠)، بحيث بلغ عدد الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأخلاق صراحة أو إشارة ما يقارب ربع العدد الإجمالي من آيات القرآن الكريم^(٧١).

وكيفما كان فالآية السابقة تدل دلالة واضحة أن من أهم قواعد وأصول تبليغ هذا الدين القيم هو التحلي بهذا الخلق الإلهي الرفيع لأن الناس في حاجة إلى كنف رحيم وغلى رعاية فائقة وغلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم في حاجة غلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم ولا يعينهم بهمهم ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء^(٧٢).

الأحاديث الحاثّة على الأخلاق الحسنة في السنة النبوية.

الروايات الصادرة عن الرسول ﷺ والتي تحت على الأخلاق الحسنة كثيرة جداً نشير إلى بعضها، فلقد قصرت مجموعة من الروايات الواردة عن الرسول الأعظم ﷺ هدف البعثة النبوية على اتمام مكارم الأخلاق من خلال السنة في مواضع متعددة وبيانات مختلفة، فلقد قال الرسول ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) وفي رواية أخرى ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)) وفي ثالثة ((أن بعثتني تمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال)) وفي رابعة ((بعثت لأتمم حسن الأخلاق))^(٧٣).

وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في بيان فلسفة البعثة، قال تعالى ﴿كَأَمْرُسَلْتَنَا فَيَكُم مَّرْسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيَكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(٧٤) وقال أيضاً ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٧٥)، فأخبر في هذه الآيات أنه بعث خاتم الأنبياء والمرسلين ليزكي عباده، قال الراغب الأصفهاني في المفردات ((أصل الزكاة النمو الحاصل من بركة الله تعالى ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والآخروية يقال: زكا الزرع يزكو، إذا حصل منه نمو وبركة وتزكية النفس يقع بالخيرات والبركات أولهما جمعياً فأن الخير بين موجودات فيها زكاء النفس وطهارتها، فبحيث يصير فيها الإنسان في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الآخرة الأجر المثوبة وينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسباً لذلك نحو ((قد أفلح من زكاها)) وتارة ينسب إلى الله تعالى لكونه فاعلاً لذلك في الحقيقة نحو ((بل الله يزكي من يشاء))^(٧٦).

وتارة ينسب إلى النبي لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم وتارة تنسب إلى العبد لكونه

مكتسباً لذلك، وحيث أن الهدف العام من نزول القرآن الكريم هو إيصال الإنسان إلى الفلاح ولا طريق للفلاح إلا بالتزكية ولا طريق للتزكية إلا اتباع تعاليم الإسلام المتجسدة في إتباع الرسول الأعظم ولا يتحقق هذا الاتباع إلا بأخذ بكل ما جاء عنه ﷺ وذلك لما جاء عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: ((أيها الناس والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار ألا وقد أمرتكم به وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة ألا وقد نهيتكم عنه)) (٧٧).

فتحصل بكل ما تقدم أن الهدف الأساس من البعثة النبوية هو التحلي بمكارم الأخلاق وهذا معناه أن الشريعة الخاتمة التي جاء بها سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ ذاته أسس أخلاقية عليها تقوم وبها تنفذ في كل جوانبها الإيمانية والتعبدية والتعاملية فلا يزكو أيمان ولا عبادة ولا عمل ما يكن مصوغاً بالصبغة الأخلاقية الفاضلة إذ ليس من خلق كريم ولا فعل جميل إلا وقد وصله الله بالدين (٧٨).

المبحث الثالث

الخير والسعادة عند مسكويه

تعريف الخير وأقسامه.

لقد قدم مسكويه تعريفاً للخير مستنداً على تعريفات المتقدمين فيقول وهو المقصود من الكل، وهو الغاية الأخيرة وقد يسمى الشيء النافع لهذه الغاية خيراً (٧٩).

فالخير هو الذي يقصده الكل بالشوق وهو طبيعة تقصد لها ذات وهو الخير العام للناس من حيث هم الناس فهم بأجمعهم مشتركون فيها (٨٠).

فالخير عنده ما يبلغ الكائن المرید غاية وجوده أو كمال وجوده والخير أما عان أو ما خاص فالخير العام هو الخير الذي يكون عامة للجميع، بينما الخير الخاص هو الخير الذي يقتصر على الفرد وهو شعوره بالسعادة واللذة وينحصر هذا الخير الخاص في أن تصدر عن الموجود أفعاله التي تخص صورة تامة كاملة وهناك خير مطلق وهو عين الموجود الأعظم الذي هو الله فالله هو الخير المطلق، وأن جميع الأشياء تتحرك نحوه بالشوق إليه وإما السعادة فهي حالة خاصة تختلف بين إنسان وآخر ولا تتم الخيرات للناس إلا بتعاونهم (٨١).

فالفرض المقصود من وجود الإنسان التوجه إليه بكل أعماله وجعله الهدف الذي تصوب إليه أفعاله الإرادية هو الذي يجب أن يسمى به الإنسان خيراً وسعيداً، فالخيرات هي الأمور التي تحصل للإنسان بإرادته وسعيه في الأمور التي لها وجود الإنسان من أجلها خلق والشروط هي التي تعوقه عن هذه الخيرات بإرادته وسعيه أو كسله وانصرافه^(٨٢).

ويرى مسكويه أن من الناس من هو خير بطبعه وهذا قليل وهذا الصف من الناس لا يصير إلى الشر بحال من الأحوال ومنهم من هو شرير بطبعه فهو لا يصير إلى الخير بحال وبين هذا وذاك قوم على استعداد إلى الخير فينقلون إليه إذا تعهدوا بالتربية والتهديب، أما إذا خالطوا أشرار فإلى الشر مصيرهم وإلى الغواية طريقهم^(٨٣).

وإذا عمل مسكويه بالتوحيد بين الخير الأسمى والسعادة القصوى فإنه يربط بين السعادة والفضيلة ويهتم بالفضائل الخلقية لصلتها بالعمل دون الفضائل النظرية المتعلقة بوظيفة العقل التجريدية وليست الفضائل طبيعة فنية وإنما هي مكتسبة ومن ثم يجب الركون إلى التعليم أصول المعارف والمعاملات حتى لا تضعف قوة التمييز والعقل وأنسب المعارف إلى الطفل العلم بالشرعية لأنها لازمة لقبول الحكمة وطلب الفضيلة والبلوغ إلى السعادة فليست حياة الإنسان حياة زهد وأعراض وإنما حياة انسجام وتوافق بين مطالب الجسد والروح ومن ثم فإن الحكيم لا يتجرد عن لذة الدنيا تماماً وإنما يضيفها إلى لذة الروح^(٨٤).

ويذهب مسكويه إلى أن أحكام الشريعة لو فهمت على وجهها الصحيح لكانت مذهباً خلقياً أساسه محبة الإنسان للإنسان والدين والرياسة خلقية لنفوس الناس وغاية الشعائر الدينية كصلاة الجماعة والحج هي أن تغرس الفضائل في نفوس الناس فهي تعلمهم محبة الجار في أوسع صورها^(٨٥).

ولا يمكن أن نختبر الفضيلة في إنسان هجر مجتمع وتنسك في صومعة لا يخالط أحداً، أن حياة الإنسان مفطورة على الميل إلى التعاون^(٨٦)، وبذلك أمر الله تعالى في قوله ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٨٧).

فالتعاون على الخير من أجل الفضيلة أمر الزامي أما التواطؤ لفعل الشر والرديلة فهو الشيء المنهي عنه الذي يكون عليه عقاب شديد فالفضيلة إذا تكون بالاجتماع والانخراط في

جماعة مسألة في غاية الأهمية لأنها ترتبط برسالة الإنسان المستخلف في الأرض التي لا يجوز الهروب من أدائها وإذا كان الزهد أمراً ضرورياً إلا أنه يكون باجتناب المحرمات والردائل والزهد يكون بتسخير العمل الديني لنيل الثواب في الآخرة ولكن غير مقبول أن تيسر إنسان بالزهد فيهرب من المواجهة وبترك المنكر وأهله دون أن يواجههم أن كل خلق ومعتقد يمكن تغييره بالدعوة إلى بديل عنه وبالتربية والعقل والتثقيف الدائم وإذا كان التغيير غير ممكن لماذا إذن أرسل الله سبحانه تعالى الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم لهداية البشر؟^(٨٨) ولماذا أمر سبحانه الخاصة والدعاة لمقاومة المنكر والسعي لنقل الناس من الضلال إلى الهداية ولكن التغيير لا يتناول بالخلقة بكسر الخاء فذلك سنه الله في خلقه ولا يهدف التغيير إلى جعل قوانين الطبيعة على غير ماهي عليه وإنما يتناول التغيير الجانب الإداري في الإنسان وعاد تؤهله للتألف مع أبناء جنسه مما يولد الحب والصدقة وهي قوام نجاح المجتمعات^(٨٩).

أقسام الخير.

لقد قسم ابن مسكويه الخير إلى أربعة أقسام كما قام بتقسيمها أرسطو:

فقال الخير منها ماهي شريفة ومنها ماهي ممدوحة ومنها ماهي بالقوة كذلك ومنها ماهي نافعة فالشريفة منها هي التي تشرفها من ذاتها وتجعل من اقتناعها شريفاً وهي: الحكمة والعقل، والممدوحة منها مثل الفضائل والأفعال الجميلة الإرادية والتي هي بالقوة مثل التهيو والاستعداد لنيل الأشياء التي تقدمت والنافعة هي جميع الأشياء التي تطلب لا لذاتها بل ليتوصل بها إلى الخيرات^(٩٠).

ويوضح مسكويه فيقول بوجه آخر الخيرات منها ماهي غايات ومنها ليست بغايات والغايات منها ماهي تامة ومنها ماهي غير تامة فالتى هي تامة كالسعادة والتي هي غير تامة كالصحة واليسار وهو يرى الخيرات متحققة في جميع المقولات^(٩١).

وهناك تسميات أخرى للخير عنده:

١- صحة البدن ولطف الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج أي يجب أن يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

٢- في الثروة والأعوان وأشباههما حتى يتسع لأن يضع الحال في موضعه ويعمل به سائر الخيرات.

٣- أن تحسن أحوالته في الناس وينشر ذكره بين أهل الفضل.

٤- أن يكون منسجماً في الأمور وذلك إذا أتم كل ما روي فيه وعزم عليه حتى يصير ما يأمله عنه^(٩٢).

الخير على أقسام ومن وجهات مختلفة على النحو التالي:

أولاً: الخير على قسمة ارسطو طاليس:-

فقال الخير منها ماهي شريفة ومنها ماهي ممدوحة ومنها ماهي بالقوة وكذلك منها ماهي نافعة فالشريفة منها هي التي شرفها من ذاتها وتجعل من أقتناها شريفاً وهي الحكمة والعقل، والممدوحة منها مثل الفضائل والافعال الجميلة الارادية والتي هي بالقوة والنافعة هي جميع الأشياء التي تطلب لا لذاتها بل ليتوصل بها للخيرات^(٩٣).

أما الخيرات على جهة أخرى من القسمة:

١- خيرات هي غايات وتتفرع إلى:

٢. ماهي تامة كالسعادة ذلك أنا إذا وصلنا إليها لم نحتاج أن نستزيد إليها بشيء آخر.

٣. ماهي غير تامة كالصحة واليسار وذلك أنا إذا وصلنا إليها احتجنا أن نستزيد فتستثنى أشياء أخرى.

٢- خيرات ليست بغايات: كالعلاج والتعلم والرياضة^(٩٤).

والخيرات قد تكون في جهة أخرى من القسمة فقد تكون منها معقولات ومنها محسوسات^(٩٥).

العلاقة بين الخير والسعادة

قبل ان يشرح لنا مسكويه العلاقة بين الخير والسعادة يجب أن نعرف مفهوم السعادة عنده بعد أن عرفنا مفهوم الخير لديه.

فالسعادة لغة: تعني اليمن وهو نقيض النحس والسعادة خلاف الشقاوة^(٩٦)، والسعادة هي كمال صاحبها وهي مختصة بالإنسان وهي لا تكون عند غير الناطقين وتأتي عند غير الإنسان من غير قصد ولا روية ولا إرادة أما عند الإنسان فالسعادة لا تتم إلا بالاختيار والإرادة^(٩٧) فهي عنده لا تحقق الا بقوة الحكمة في النفس التي تحرص على التمييز بين الخير والشر^(٩٨).

ثم شرح مسكويه العلاقة بين الخير والسعادة وبيان النسبة التي تربطهما بأن كل ما يفيدنا في الوصول إلى الغاية الأخيرة يسمى خيراً والسعادة هي الخير ولكن بالإضافة إلى صاحبها وهي كمال له فالسعادة خير والخير المطلق أجمع عليه الناس وهو الخير لذاته، أما الخير النسبي فهو اعتباري يختلف عند الأشخاص^(٩٩)، فالخير الذي يقصده الكل بالشوق فهو طبيعة تقصد لها وهو الخير العام للناس من حيث هم ناس فهم بأجمعهم مشتركون فيها، وأما السعادة فهي خير ما لواحد من الناس فهي إذن بالإضافة ليس لها ذات معينة وهي تختلف بالإضافة إلى قاصديها فلذلك يكون الخير المطلق غير مختلف فيه^(١٠٠).

وبالجملة فالإنسان يكون خيراً سعيداً إذا صدرت عنه أفعاله الإنسانية والفضيلة هي فعل الإنسان بحسب صورته الحقيقية ولكن لما كانت الإنسانية تبدو بدرجات متفاوتة في مختلف الأفراد فالسعادة والخير ليست واحدة عندهم جميعاً^(١٠١)، فإنسان الخير هو من يواسي الآخرين ويحترمهم ولا يؤذيهم^(١٠٢)، وعن الأمام الصادق عليه السلام ((أن خير العباد من يجتمع فيه خمس خصال إذا حسن استبشر وإذا أساء أستغفر وإذا أعطي شكر وإذا أبتلي صبر وإذا ظلم غفر^(١٠٣))).

أما إنسان الشر فعن أمير المؤمنين عليه السلام فقد قال: ((شر الناس من يتقه الناس مخافه))^(١٠٤).

السعادة في نظر مسكويه

يرى مسكويه أن السعيد من الناس لا يخلو من احدى المرتبتين وهما:

الأولى: مرتبة الأشياء الجسمانية وان يكون متعلقاً بها وبأحوالها السفلى سعيداً بما يكتسبه منها وهو مع ذلك يطالع الأمور الشريفة باحثاً عنها لكن هدفه الأول هو مطالعة الأمور البدنية.

ويرى مسكويه أن صاحب هذه المرتبة: (غير كامل على الإطلاق ولا سعيد تام)^(١٠٥).
الثانية: وهي المرتبة التي يصرف فيها الإنسان أرائته ومحاولاته إلى الأمر الأفضل من صلاح النفس والبدن والابتعاد عن الشهوات ومجاهدة الهوى ولا يكثر بشيء من الأمور المادية الا للضرورة.

ويرى مسكويه أن الناس في هذه المرتبة متدرجون ولهم كمالات مختلفة يسمو بها البعض على البعض الآخر ويعزي مسكويه سبب هذا التفاصل إلى أمور عدة منها^(١٠٦):

أ- اختلاف طبائع الناس.

ب- اختلاف عاداتهم.

ج- اختلاف منازل الناس ومواضعهم من الفضل والعلم والمعرفة والفهم.

د- اختلاف همهم.

هـ- اختلاف شوقهم ومعاناتهم وجدهم.

ثم يصف مسكويه المرحلة أو الدرجة العليا التي يصلها أصحاب هذه المرتبة بأنها الفضيلة الإلهية المحضة وهي التي لا يكون منها انتظار إلى ما هو ات ولا حزن على ما فات ولا تطلع إلى بعيد ولا خوف ولا فزع ولا ظن بقريب ولا شغف بحال ولا طلب لأمر من أمور الدنيا ولا ما تدعوه إليه الحاجة البدنية والقوى الطبيعية ولا القوى النفسانية.

ولكن يتصرف بتصرف الخير العقلي في أعالي رتب الفضائل^(١٠٧)، وصرف النظر إلى الأمور الإلهية ومعاناتها وان يطلبها لذاتها لا لأجل الثواب بل لأجل الزلفى والقربى.

وهذه الرتبة أيضاً تتزايد بالناس بحسب الهمم والشوق والتطلع إلى الكمال وبحسب مرتبة من بلغ هذه المرتبة من الفضيلة ليكون تشبهه بالعلة الأولى وامتداؤه بها وبأفعالها^(١٠٨).

وأخر المراتب في الفضيلة أن تكون أفعال الإنسان كلها أفعالاً إلهية وهذه الأفعال هي خير محض والفعل إذا كان خيراً محضاً فليس يفعل فاعله من اجل شيء آخر غير الفعل نفسه^(١٠٩).

شروط تحصيل السعادة

وليس تحصيل هذه المراتب التي يترقى فيها صاحب السعادة التامة إلا بعد أن يعلم الحكمة كلها علماً صحيحاً ويستوفيهما أولاً كما رتبناها في كتابنا المسمى (ترتيب السعادات) ومن ظن من الناس أنه يصل إليها بغير تلك الطريقة وعلى غير ذلك المنهج فقد ظن باطلاً وبعد عن الحق بعداً كثيراً وليتذكر في هذا الوضع الخطأ العظيم الذي وقع فيه قوم ظنوا أنهم يدركون الفضيلة وذلك بترك النظر الخاص بالعقل واكتفائهم بإعمال ليست مدنية ولا يحسب ما يقسطه التمييز والعقل وقد سماهم قوم (العاملة والناجية)^(١١٠)، فإذا بلغ الإنسان إلى غاية هذه السعادة ثم فارق جسمه الكثيف دنياه الدنيئة وتجرد بنفسه اللطيفة التي عني بتطهيرها وغسلها من الأدناس الطبيعية الأجزاء العلية ففاض واعد ذاته للقاء خالقه عز وجل أعداداً روحانياً ليس فيه نزاع إلى تلك القوى التي كانت تعوقه عن سعاداته ولا شوق إليها لأنه قد تطهر منها وتنزه عنها ولم يبق فيه أرادة لها ولا حرص عليها وقد استخلصها للقاء رب العالمين ولقبول كرامته وفيض نوره الذي كان غيره مستعد له ولا فيه قبول من عطائه^(١١١).

فالسعادة من وجهة نظر مسكويه تخص فئة معينة هي فئة الفلاسفة والحكماء ولهذا كانت صعبة المنال لأنها تتطلب جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً وظروفاً خاصة قلما تتوفر لأغلب الناس، فأغلب الناس يعيشون في درجات من السعادة القصوى منها ما يتعد عنها ومنها ما يقترب منها وهذا راجح إلى فضيلة العقل والتفكير السليم قلما تتحقق على وجه التمام عند سائر الناس وراجع كذلك إلى أن مواضع هذا التفكير تختلف وتتباين حسب أغراضهم من الحياة^(١١٢).

أذن تحصيل السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة والحكمة جزءان نظري وعملي فالنظري يمكن تحصيل من خلاله وبالعلمي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة وبهذين الأمرين بعث الله الأنبياء عليهم السلام فهم أطباء النفوس يعالجونها من اسقام الجهالة بالأدب الحق لما ياخذونهم به من الآداب الصحيحة والإعمال النافعة ويطالبونهم بالاستسلام لهم بعد اقامة الحجة عليهم بالمعجزات فمن تبعهم ولزم حجتهم وقف على الصراط المستقيم ومن خالفهم تردى في سواء الجحيم^(١١٣)، فأما من احب أن يعلم صحة ما دعوا إليه بالنظر الصحيح فإنه يجد ذلك من جهة الحكماء وذلك

أنهم لما وجوداً جزئياً الحكمة نظرياً وعملياً ورأوا النظر منها كثير الشبهة التي تؤهم الحق وليس به تقرب من الحق وأن لم تكنه شبهوا الحق بالعلامة التي في القرطاس التي للرماء فأنها واحدة وكل يرميها ويقصدها إلا أن المصيب قليل والمخطئ كثير لكثرة النقط التي تقرب منها وكذلك مركز الدائرة وهي نقطة واحدة ومن يطلبها بالعين كثير^(١١٤)، فإذا استكمل الإنسان هذين الجزئين من الحكمة فقد استحق أن يسمى حكيماً فيلسوفاً وهو سعيد سعادة تامة فإذا أنس الإنسان بالنظر إلى العالم هذا وقوى بصره فيه شاهد من عجائب الحكمة وآثارها ما هو ألطف وأعجب مما كان شاهدة ورأى ارتباط تلك الآراء ببعضها وتدبير بعضها لبعض ولاح له منها عالم آخر ليس منها سبيل ولا هو منها في شيء أكثر من أنه محيط بهذا العالم الثاني كإحاطة الثاني بالأول أعني أنه جسماني ولا محتاج إلى مكان بل يشتمل عليه بالتقدير والتدبير كاشتمال الثاني على الأول^(١١٥).

ومن هنا تعددت إفهام الفضيلة وتباينت ألوان الحياة السعيدة ولهذا يبحث مسكويه في كيف يستعمل الإنسان وظيفته الخاصة التي هي العقل في تصريف معاملاته مع أبناء جنسه في المجتمع^(١١٦)، ويرى مسكويه أن هذه السعادات التي تقدمت قد تكون سبباً في هلاك صاحبها كمن يهلك لكثرة ماله أو في طلب الكرامة والسلطان والاستهتار باللذة وهذا كما يرى أنما يتحقق في السعادات التي لم يترتب بعضها فوق بعض أما النوع الآخر هو المرتب بعضه فوق بعض من مباد هي نهايات ونهايات هي مباد فالأعلى منه أفضل من السفلى وخادم كذلك أي مفضول لما هو فوقه لن هانما أريد له ومن أجله ومثال ذلك المال الذي هو وسيلة لنيل الحاجات فهو يراد مثلاً لصحة البدن وصحة البدن تراد لنيل السعادة الأخيرة أو السعادات التي دونها أما المال لذاته والصحة لذاتها فباطلان^(١١٧).

ومن ثم فلقد أورد مسكويه ثلاث ألوان من الحياة السعيدة بين الناس:

١- الحياة السعيدة الجسمية كدقة الحواس التي تجعل الإنسان جيد البصر والسمع والشم والذوق واللمس وكاعتدال المزاج وسهولة الهضم والتنفس وغيرها من الأمور التي لا يستقل بها الإنسان وإنما يشاركه فيها النبات والحيوان ولهذا كانت الحياة لا تليق بالإنسان ومن يسمى وراء السعادة البدنية فهو ليس بإنسان كامل.

٢- الحياة السعيدة المدنية وهي الحياة التي تتناول التشريعات الخارجية التي ترفع عادة من قيمة الإنسان في أعين غيره مثل فعل الخير بين الناس في شكل صدقة وغيرها.

٣- الحياة السعيدة والنفسية وهي أن يكون الإنسان جيد التفكير وراجح الرأي صحيح التقدير قوي الأيمان ملماً بسائر فروع الحكمة^(١١٨).

ويدحض مسكويه الرأي القديم القائل بأن السعادة العظمى لا تتحقق إلا بمفارقة البدن واصفاً سخافة ما يؤدي إليه مثل هذا الرأي وهو الظن بأن الإنسان في حياته وقدرته على أداء الأعمال الفاضلة النفسية ولبنى وطنه يعتبر شقياً أو ناقصاً السعادة حتى إذا مات وفقد هذه الأشياء عد سعيداً تام السعادة^(١١٩).

ويظهر مسكويه أنه قد اغفل جوانب كثيرة لهذه المشكلة منها ما يتصل بطبيعة التكليف في هذه الحياة وما يصحب ذلك من مجاهدات ومواقف صعبة قد تشوب السعادة وبعوض الشوائب كما أن من طبيعة هذه الحياة وتعقد مظاهرها لا يحظى الإنسان عادة بالجواهر الصافي من كل شيء وباختصار أن قوانين هذه الحياة محدوديتها في الزمان والمكان قد لا تسمح بالرائع المثالي في السعادة دون أن نفهم من ذلك أية فكرة تتصل بالتبرم بالحياة والتتصل منها أو حتى قبولها على أن للجهد حلاوة ربما فاقت في اللذة الثمرة وأن للكفاح نشوة قد تربوا إلى الظفر وأذن فلا مفر من قبول فكرة نسبية السعادة^(١٢٠).

لقد وجد من الفلاسفة الأخلاقيين من اعتبر السعادة غير كاملة إذا لم يشارك البدن في جانب منها كما وجد من يقلل من شأن البدن في هذا المضمار ولا يرى حاجة إليه ولقد رأى مسكويه أن يجمع بين الرأيين نظراً لكون الإنسان مكون من مبدأ روحاني وجسماني يتصل كل منهما بعامله الخاص ولا تتم السعادة إلا بتحصيل الحاليين جميعاً غير أن المرتبة البدنية أقل أما وفور الحظ من الحكمة هذا التاج النفسي السامي يعتبرها سعادة تامة فريدة للآلام والحسرات^(١٢١).

هل تتحقق السعادة للإنسان دون سعي وجد أو اجتهاد

أم أنها تحتاج إلى مران ودربه ورياضه وامتحان

وما هي اقرب الأشياء التي تصل بالإنسان إلى غاية الغايات ومنتهى النهايات؟ قد يجوز

أن تحصل للإنسان السعادات الخارجة عن البدن والداخلية فيه بالبخت أي عن طريق المصادفة والحظ ولكنه ليس على الجائز من الأحوال أن تتحقق له السعادة التامة من غير سعي واجتهاد^(١٢٢) وذلك يتطلب ترتيب هذه السعادات وتفصيلها على ما ينبغي من نظر طويل وتمييز كثير واعتياد دائم فمما لأشك فيه أن تحصيل ما دون السعادة القصوى من السعادات لا يتيسر إلا بعد ترتيبها وتفصيلها على الوجه الذي به تؤدي الدنيا إلى العليا إلى ما هو أعلى منها وهكذا درجة حتى يصل إلى أعلاها، وهذا النظر وذلك الترتيب لا يستطيع الوصول إليه إلا القليل من الناس الذي تتوفر فيه أمور أهمها الحرص والاجتهاد والصحة والتمييز والذكاء^(١٢٣)، ولقد راعى ابن مسكويه مفهوم الإنسان كإنسان بكل مقوماته فسعاداته تقوم باعتبار طبيعته التي خلقه الله عليها يعيش في مجتمع يعتمد فيه على نفسه بقدر اعتماده على الآخرين على خلاف سائر الحيوانات فهو لم يخلق من يعيش وحده ويتمم له البقاء بنفسه كما خلق الكثير من الوحوش والبهائم لأن كل واحد من هؤلاء خلق مكتفياً بنفسه غير محتاج إلى غيره وإن كان ابن مسكويه مع مراعاته لمفهوم السعادة لكل هذا فهو لم يسد باب الترقى للإنسان لسمو بذاته على المستوى المألوف في الحياة الدنيا ليحلق بنفسه إلى ما هو أسمى من ذلك ليقترّب من المستوى الأعلى والذي يقرب به من الملائكة^(١٢٤).

الخاتمة:

بعد تجوالي بين المكتبات وثنائيا الكتب لمعرفة هذه الشخصية التي شغلني كثيراً، توصلت إلى النتائج الآتية:-

- ١- أهمية هذه الشخصية الكبيرة في بيان أهمية علم الأخلاق من وجهة نظر إسلامية.
- ٢- أهمية المؤلفات التي قام بتأليفها هذا الفيلسوف العظيم حيث أن مؤلفاته تدل على عمق تفكيره ورؤيته العظيمة فحين اطلعت على كتابه تجارب الأمم اكتشفت أهمية هذا الكتاب الذي يعرض المواقف التاريخية التي كنا نغفل عنها أو نجهلها.
- ٣- عمل مسكويه من خلال تعريفه الخير والشر والسعادة إلى التوحيد بين الخير الأسمى والسعادة القصوى حيث عمد إلى ربط السعادة بالفضيلة وبين أن حياة الإنسان ليست زهد وأعراض عن الدنيا وإنما حياة الإنسان بالاجتماع والتعاون.

٤- ذهب مسكويه إلى أن أحكام الشريعة لو فهمت على وجهها الصحيح لكانت مذهباً خلقياً أساسه محبة الإنسان للإنسان.

هذه خلاصة ما تناولته في بحثي تاركين المجال للآخرين التوسع فيه والتطرق للإبعاد أو النقاط التي لم أتناولها في بحث هذا.

Abstract

flourished social philosophy in the eighth century Hijri in the age of enlightenment that preceded the birth of sociology seem unproblematic so informed the meeting in emerging, while the social philosophy, sociology and beergarden are two different types of effort of the human mind the prospector only difference enjoyed by generally the difference that separates between the world philosophy, a difference which focus mainly on levels Empirical of demilitarization and the handling of the methodology are both trying to describe reality both depends on the note fact deepening, where the difference between social philosophy, sociology reflected at the theoretical level, but the border between them mixed at the level of the practice and application, then social philosophy and reflect the application of the concept of the Philosophy in the framework of the community as it seeks to know the nature of the subject and purpose of human relations, the first of many of the Philosophers great importance this science and were many works that talk about the importance of the philosophy of sociology from the philosophers Greece to the appearance of the Philosophers Muslims who have paid great attention to this science is important among Muslim scholars will talk about the world of Jalil appeared in the fourth century the Hegira year is considered the founder of morality, son Miskawayh 'is Miskawayh philosophers, who appeared in the fourth century Hijri, is one of the greatest conquerers scientists who gathered between the source and the Mental Retardation did not record the US Miskawayh date of his private life like the philosophers Muslims that we did not find the sources of the Ancient and Modern Talking Little, therefore the private life ambiguous Knew The Miskawayh that, in addition to the philosophy of the sciences that and other, it had known of the poet has received many notice despite the many notified but his poetry knew without ranked medium is not the words of a value in a world wide poetry, although that had been mentioned in the prose clarity and precision large has appeared much in multiple locations.

It also defined through the writings of the Depth of thinking great vision when briefed on his book the experiences of the discovered the importance of such a book which displays the historical attitudes that we overlook or 215,200 in addition to many of the writings which indicated the importance of this great personal and singled out during the Great biography ، Miskawayh considered is the first Muslim scholars who wrote in the Ethics of Scientific Concept and philosophical, and through his book (refining ethics and ethnic cleansing), and Polish star in philosophy and even some title B'instructor III ،(Miskawayh is the first world of prominent Muslim studied (Ethics philosophical) from a scientific point of view in his book refining ethics which focused on the ethics and transactions and the purification of the human personality.

هوامش البحث

- (١) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي (ت٤٢١هـ)، هذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص٨.
- (٢) القمي، عباس، الكنى والألقاب، ط١، (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٩م-١٩٧٠م) ج١، ص٩٧.
- (٣) مسكويه، الفوز الاصغر، تح: محمد عويصه، ط١، (بغداد، دار الحكمة، ١٩٨٧)، ص١٠.
- (٤) العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة، ط١، (دمشق، مطبعة أبين زيدون، ١٩٣٨م)، ج١٠، ص١٤٤.
- (٥) عزت، عبد العزيز، مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصدرها، ط١، (القاهرة، مطبعة الجليبي واولاده، ١٩٤٦م، ص٩.
- (٦) كوربان، هنري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، تر: نصير مروة وحسين فيلبسي، ط٣، (بيروت، منشورات عويدان، ١٩٨٣م)، ص٢٦٥.
- (٧) عزت، المصدر السابق، ص١٠.
- (٨) جمعة، محمد لطفي، تاريخ فلاسفة الإسلام، ط١، (القاهرة، مطبعة المعارف، ١٩٢٧م)، ص٣٠٤.
- (٩) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص٤٠٨.
- (١٠) جابر، عجیل نعمة، الأسس الفلسفية الأخلاقية للتربية عند مسكويه في ضوء كتاب تهذيب الأخلاق، (بغداد، مطبعة كلية الآداب، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص٥٩.
- (١١) مسكويه، الحكمة الخالدة، تح: عبد الرحمن بدوي، ط١، (بيروت، مطبعة دار الاندلس، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ص٨.

- ❖ الري: مدينة في بلاد فارس ظهر فيها من نوابغ المفكرين وهي اليوم من أعمال مدينة طهران (ياقوت، شهاب الدين الحموي الرومي، معجم البلدان، ط٣، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م)، ص ١١٦.
- (١٢) جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، ص ١١٦.
- (١٣) مراد، سعيد، نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام، ط١، (القاهرة، مطبعة كلية الآداب، ٢٠٠١م)، ص ٦٣.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ٦٣.
- (١٥) التوحيد، علي بن محمد (ت ٤١٤هـ) الهوامل والشوامل، تح: محمد الأمين واحمد صفر، ط١، (القاهرة، لجنة التأليف والنشر والترجمة، ١٣٧٣هـ)، ج١، ص ٣٥.
- (١٦) مسكويه، الفوز الأصغر، ص ١١.
- (١٧) مسكويه، تجارب الأمم، تح: أبو القاسم إمامي، ط٢، (طهران، دار سروش للنشر، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، ج٢، ص ٢٣٩.
- (١٨) التوحيد، علي بن محمد (ت ٤١٤هـ)، الإمتاع والمؤانسة، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م)، ج٢، ص ٣٤.
- (١٩) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي، ط١، (القاهرة، مكتبة العفة، ١٩٦٥م)، ج٣، ص ٣٨٠.
- (٢٠) مسكويه، الفوز الأصغر، ص ٩.
- (٢١) العمر، عبد الله بن محمد، الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، ط١، (الرياض، جامعة مسعود الإسلامية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ص ٤١.
- (٢٢) مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص ٤٧٧.
- (٢٣) جابر، الأسس الفلسفية، ص ٦٥.
- (٢٤) مسكويه، تجارب الأمم، ج١، ص ١٩.
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٠.
- (٢٦) عزت، مسكويه فلسفته الأخلاقية، ص ١٢.
- (٢٧) المصدر نفسه، ص ١٢.
- (٢٨) عزت، مسكويه فلسفته الأخلاقية، ص ١٤.
- (٢٩) جمعة تاريخ فلاسفة الإسلام، ص ١٢٨.
- (٣٠) ياقوت، شهاب الدين الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، ط٢، (القاهرة، مطبوعات دار المأمون، ١٩٣٨م)، ج٥، ص ١٧.
- (٣١) المصدر نفسه، ج٥، ص ١٧.

- (٣٢) الصفدي، خليل الدين أيبك (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، ح: أحمد الارنارؤوط، ط١، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ)، ج٨، ص٧١.
- (٣٣) الطهراني، إغابزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، (بيروت، دار الأنوار، ١٤٠٣هـ)، ج١، ص٢٥.
- (٣٤) مراد، نظرية السعادة، ص٦٣.
- (٣٥) سبهاني، رؤوف، مشاهير فلاسفة المسلمين، ط١، (بغداد، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م)، ص٢١٩.
- (٣٦) مراد، المصدر السابق، ص٦٤.
- (٣٧) الحمراي، أسعد، الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ط٣، (بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ص١٤٤.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص١٤٥.
- (٣٩) نينشه، فرديك، ما وراء الخير والشر، تر: احسان بورفيه، ط١، (الدار البيضاء، مطبعة أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م)، ص٩١.
- (٤٠) المصدر نفسه، ص٩٢.
- (٤١) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط٣، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، ج٣، ص٢٥٧.
- (٤٢) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص٣٠.
- (٤٣) إبراهيم، نعمة، الفلسفة الإسلامية، ط١، (النجف الاشرف، مطبعة دار الضياء للطباعة، ٢٠٠٧م)، ص٤٥.
- (٤٤) المصدر نفسه، ص٤٦.
- (٤٥) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص٣٤.
- (٤٦) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص٣٥.
- (٤٧) فرحان، محمد جلوب، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، ط١، (الموصل، مطبعة الجامعة، ١٩٨٦م)، ص١٢٦.
- (٤٨) سبهاني، نظرية السعادة، ص٢٢٥.
- (٤٩) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص٢٧.
- (٥٠) المصدر نفسه، ص٥٩.
- (٥١) الألوسي، حسام، البنية والعلاقة الفلسفية، المجلة الفلسفية العربية، مجلد ٢٧، عدد ٢٠١، ١٩٩٠م، ص٤٥-٤٦.
- (٥٢) بيصار، محمد عبد الرحمن، العقيدة والأخلاق واثريهما في حياة المجتمع، ط١، (بيروت، منشورات المكتبة العصرية صيدا، ١٩٨٠م)، ص٢٧٥.
- (٥٣) عويصه، كامل، مذاهب أخلاقية لمسكويه، ط١، (بيروت، مطبعة دار الكتب، ١٩٩٣م)، ج١، ص٢٠.

- (٥٤) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ١٠٢.
- (٥٥) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (٥٦) الجبوري، فضلة، الفلسفة الإسلامية، ط ١، (بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٩٠م)، ص ٢٠.
- (٥٧) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ١٤٧.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ١٠٦.
- (٥٩) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (٦٠) مسكويه، الفوز الأصغر، ص ٤٦.
- (٦١) عزت، مسكويه فلسفته الأخلاقية، ص ١٠٣.
- (٦٢) المصدر نفسه، ص ١٠٤.
- (٦٣) إبراهيم، الفلسفة الإسلامية، ج ١، ص ١٥.
- (٦٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥.
- (٦٥) الحيدري، كمال، مقدمة في علم الأخلاق، ط ١، (قم، مطبعة دار فراق للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ص ٢٤؛ منشورات دار إسلامي، أخلاق النبي في القرآن والسنة، ط ١، (طهران، د.ت)، ج ١، ص ٤٦.
- (٦٦) الجبوري، الفلسفة الإسلامية، ص ٣٠.
- (٦٧) المصدر نفسه، ص ٣٢.
- (٦٨) الجبوري، الفلسفة الإسلامية، ص ٤٠.
- (٦٩) عويصه، مذاهب أخلاقية، ج ١، ص ٩.
- (٧٠) سورة آل عمران : ١٥٩.
- (٧١) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٥٣.
- (٧٢) الحيدري، مقدمة في علم الأخلاق، ص ٧.
- (٧٣) المصدر نفسه، ص ٢١.
- (٧٤) سورة البقرة: ١٥١.
- (٧٥) سورة الجمعة: ٢.
- (٧٦) الحيدري، مقدمة في علم الأخلاق، ص ٢٢.
- (٧٧) المصدر نفسه، ص ٢٣.
- (٧٨) المصدر نفسه، ص ٢٥.
- (٧٩) مراد، نظرية السعادة، ص ٦٧.
- (٨٠) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٥٧.
- (٨١) الجبوري، الفلسفة الإسلامية، ص ٣٦٧.



- (٨٢) بيسار، العقيدة والأخلاق، ص ٢٧٠.
- (٨٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٥.
- (٨٤) صبحي، أحمد محمود، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي العقلاني والذوقيون أو النظر والعمل، ط١، (الإسكندرية، دار المعارف في جامعة الإسكندرية، ١٩٨٣م)، ص ٣١١.
- (٨٥) بورج، دي، تاريخ الفلسفة في الإسلام، تر: عبد الهادي أبو ريذة، ط١، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف في كلية الآداب، ١٩٥٤م)، ص ٢٤٥.
- (٨٦) الحمراي، كتاب الأخلاق، ص ١٤٩.
- (٨٧) سورة المائدة: ٢.
- (٨٨) الحمراي، كتاب الخلاق، ص ١٥٢.
- (٨٩) المصدر نفسه، ص ١٥٣.
- (٩٠) بيسار، العقيدة والأخلاق، ص ٢٦٩.
- (٩١) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٥٤.
- (٩٢) المصدر نفسه، ص ٥٨.
- (٩٣) بيسار، المصدر السابق، ص ٢٧٤.
- (٩٤) مراد، نظرية السعادة، ص ٦٨.
- (٩٥) المصدر نفسه، ص ٦٩.
- (٩٦) أبن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، (بيروت، دار الفكر للطباعة، ١٣٧٤هـ)، ج ٤، ص ١٩٣. مادة: سعد.
- (٩٧) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٧٥.
- (٩٨) التكريتي، ناجي، فلسفة الأخلاق، نشر ضمن كتاب موسوعة حضارة العراق لنخبة من الباحثين، ط١، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م)، ج ٨، ص ٣٣٤.
- (٩٩) بيسار، العقيدة والأخلاق، ص ٢٧٠.
- (١٠٠) المصدر نفسه، ص ٢٧١.
- (١٠١) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.
- (١٠٢) مراد، نظرية السعادة، ص ٦٥.
- (١٠٣) بور، تاريخ الفلسفة، ص ٢٤٢.
- (١٠٤) هيئة محمد الأمين (ص)، الأخلاق والآداب الإسلامية، ط١، (كويت، مطبعة المعراج، ٢٠٠٣م)، ص ٦٠٠.
- (١٠٥) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٩٠.
- (١٠٦) المصدر نفسه، ص ٩١.
- (١٠٧) المصدر نفسه، ص ٩٣.



- (١٠٨) عزت، مسكويه فلسفته الأخلاقية، ص ٢٧٦.
- (١٠٩) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.
- (١١٠) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٦٧.
- (١١١) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٦٨.
- (١١٢) عزت، مسكويه فلسفته الأخلاقية، ص ٢٧١.
- (١١٣) مسكويه، الفوز الأصغر، ص ٩٣.
- (١١٤) المصدر نفسه، ص ٩٥.
- (١١٥) مسكويه، السعادة في فلسفة الأخلاق، ط ٢، (القاهرة، المطبعة العربية، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م)، ص ٢٤.
- (١١٦) عزت، مسكويه فلسفته الأخلاقية، ص ٢٧٢.
- (١١٧) بيسار، العقيدة والأخلاق، ص ٢٨٣.
- (١١٨) عزت، مسكويه فلسفته الأخلاقية، ص ٢٧٥.
- (١١٩) سبهاني، مشاهير فلاسفة المسلمين، ص ٢٢٨.
- (١٢٠) عويصه، مذاهب أخلاقية، ص ٤٨.
- (١٢١) المصدر نفسه، ص ٤٩.
- (١٢٢) بيسار، العقيدة والأخلاق، ص ٢٩٢.
- (١٢٣) بيسار، العقيدة والأخلاق، ص ٢٩٣.
- (١٢٤) قابيل، عبد الحلي، المذاهب الأخلاقية في الإسلام (الواجب - السعادة)، ط ١، (القاهرة، مطبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م)، ص ٢٦١.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية:-

التوحيدي، علي بن محمد (ت ٤١٤هـ)

١- الهوامل والشوامل، تح: محمد الأمين واحمد صفر، ط ١، (القاهرة، لجنة التأليف والنشر والترجمة، ١٣٧٣هـ).

٢- الامتاع والمؤانسة، ط ١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م).



- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الواسطي (١٢٠٥هـ)
- ٣- تاج العروس من جواهر القاموس، ط٣، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م).
- الصفدي، خليل الدين أليك (٧٦٤هـ)
- ٤- الوافي بالوفيات، تح: أحمد الانارؤوط، ط١، (بيروت، دار أحياء التراث، ١٤٢٠هـ).
- أبن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)
- ٥- لسان العرب، ط١، (بيروت، دار الفكر للطباعة، ١٣٧٤هـ).
- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١هـ)
- ٦- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط١، (دار الكتب العالمية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).
- ٧- الفوز الأصغر، تح: محمد عويصه، ط١، (بغداد، دار الحكمة، ١٩٨٧م).
- ٨- الحكمة الخالدة، تح: عبد الرحمن بدوي، ط١، (بيروت، مطبعة الأندلس، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).
- ٩- تجارب الأمم، تح: أبو القاسم امامي، ط٢، (طهران، دار سروشللنشر، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).
- ١٠- السعادة في فلسفة الأخلاق، ط٢، (القاهرة، المطبعة الحيدرية، ١٣٤٦هـ- ١٩٢٨م).
- ياقوت، شهاب الدين الحموي (٦٢٦هـ)
- ١١- معجم الأدباء، ط٢، (القاهرة، مطبوعات دار المأمون، ١٩٣٨م).
- ١٢- معجم البلدان، ط٣، (بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م).

ثانياً: المراجع العربية

إبراهيم، نعمة

- ١- الفلسفة الإسلامية، ط١، (النجف الأشرف، مطبعة دار الضياء للطباعة، ٢٠٠٧م).
- الألوسي، حسام
- ٢- البنية والعلاقة الفلسفية، المجلة الفلسفية العربية، مجلد ٢٧، عدد ٢٠١، ١٩٩٠م.
- بيصار، محمد عبد الرحمن
- ٣- العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة المجتمع، ط١، (بيروت، منشورات المكتبة العصرية صيدا، ١٩٨٠م).

التكريتي، ناجي

٤- فلسفة الأخلاق، نشر ضمن كتاب موسوعة حضارة العراق ل نخبة من الباحثين، ط١، (بغداد، مطبعة دار الحرية، ١٩٨٥).

جمعة، محمد لطفي

٥- تاريخ فلاسفة الإسلام، ط١، (القاهرة، مطبعة المعارف، ١٩٢٧م).

جابر، عجيل نعمة

٦- الأسس الفلسفية والأخلاقية للتربية عند مسكويه في ضوء كتاب تهذيب الأخلاق، ط١، (بغداد، مطبعة كلية الآداب، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

الجبوري، نضلة

٧- الفلسفة الإسلامية، ط١، (بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٩٠م).

الحيدري، كمال

٨- مقدمة في علم الأخلاق، ط١، (قم، مطبعة فراق لل طباعة والنشر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)؛ منشورات دار إسلامي، أخلاق النبي في القرآن والسنة، ط١، (طهران، د.ت).

حسن، حسن إبراهيم

٩- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١، (القاهرة، مكتبة العفنه، ١٩٦٥م).

الحرمانى، أسعد

١٠- الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ط٣، (بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

سبهاني، رؤوف

١١- مشاهير فلاسفة المسلمين، ط١، (بغداد، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م).

صبحي، أحمد محمود

١٢- الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي العقليون والذوقيون أو النظر أو العمل، ط١، (الإسكندرية، دار المعارف في جامعة الإسكندرية، ١٩٨٣م).

الطهراني، اغابزرك

١٣- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، (بيروت، دار الأنوار، ١٤٠٣هـ).



العالمي، محسن

١٤- أعيان الشيعة، ط١، (دمشق، مطبعة ابن زيدون، ١٩٣٨م).

عزت، عبد العزيز

١٥- مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصدرها، ط١، (القاهرة، مطبعة الجليبي وأولاده، ١٩٤٦م).

العمرو، عبد الله بن محمد

١٦- الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية، ط١، (الرياض، جامعة مسعود الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

عويصه، كامل

١٧- مذاهب أخلاقية لمسكويه، ط١، (بيروت، مطبعة دار الكتب، ١٩٩٣م).

فرحان، محمد جلوب

١٨- دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، ط١، (الموصل، مطبعة الجامعة، ١٩٨٦م).

القمي، عباس

١٩- الكنى والألقاب، ط١، (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م).

قابيل، عبد الحي

٢٠- المذاهب الأخلاقية في الإسلام (الواجب- السعادة)، ط١، (القاهرة، مطبعة دار الثقافة للنشر

والتوزيع، ١٩٨٤م).

مراد، سعيد

٢١- نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام، ط١، (القاهرة، مطبعة كلية الآداب، ٢٠٠١م).